الارتداد عن اليهودية في القص العبري الحديث
قصة (רחמת אם شفقة أم) ليهودا ليف جوردون نموذجاً

رهام سيد عطية (*)

الملخص

يتناول البحث موضوع الارتداد عن اليهودية في القص العبري الحديث ويعرض خاصة لقصة (شفقة أم) للأديب اليهودي جوردون كنموذج، وذلك من خلال الانتقال من العام إلى الخاص، فيعرض البحث لهذا الموضوع في القص العبري عامة، ثم ينتقل للحديث عنه في قصة جوردون موضوع البحث، وهذا من خلال دراسة في المضمون والشكل قصد الباحث منها التأكيد على رسوخ هذه الفكرة في القصة، ويتبع البحث المنهج التحليلي النقدي، وينتهي بعرض لمجموعة من النتائج من أبرزها أن موضوع الارتداد عن اليهودية هو موضوع مطروح منذ بدايات الأدب العبري الحديث وحتى مراحله المعاصرة، إذ يمتاز طرحه بالاستمرارية، كما يختلف هذا الطرح باختلاف الأدباء وتوجهاتهم، ويحتل التناول الرمزي لهذه القضية مكان الصدارة في التعبير الأدبي، ولم يقصد الأدباء اليهود من هذا التناول الإساءة إلى الشريعة اليهودية، بيد أنهم قصدوا التحريض على الإصلاح الديني، ولفت الانتباه إلى هذه الظاهرة التي لا يمكن إنكارها أو غض البصر عنها.

* مدرس اللغة العبرية الحديثة وادابها – قسم اللغات الشرقية – كلية الآداب – جامعة القاهرة .

Apostasy in the Modern Hebrew Novel: A Study of Judah Leib Gordon's "Compassion of a Mother"

Reham Sayed Attia

Abstract

This research presents the topic of Apostasy out of Judaism in Hebrew novels and stories, and shows specifically the story of (Mother's Mercy) for the Jewish writer "Jordan" as a model, and that is through the transition between the public aspect to the private aspect, so it shows this topic in the Hebrew novels and stories generally, then it switches to focus on the Jordan's story that is studied in the topic of this research and that is through a study in content and form where the researcher intended to highlight the deepness of this idea in the story.

The research is following the analytical critical method and ends with showing a group of results, one of its most important is that the topic of Apostasy out of Judaism is an open topic since the beginning of the modern Hebrew literature to its current time, which its presentation features a continuity that also differs with the difference of writers and their thoughts, and the symbolic handling of this issue have an important position in the literary expression.

The Jewish writers didn't intend to abuse the Judaism but they intended to encourage the religious reformation and to direct the attentions to this phenomenon that can't be denied.

المقدمة

قصد البحث التأكيد على أن هذه القضية من القضايا المطروحة في الأدب العبري الحديث منذ بداياته الأولى، كما أنها من القضايا التي تناولتها القصة العبرية الوليدة في مهدها الأول، فهذه القصة موضوع البحث كتبها يهودا ليف جوردون[1] في عصر الهسكالا[2]،هذا العصر الذي يعد أولى مراحل الأدب العبري الحديث، الذي امتاز بغلبة الإنتاج الشعري على الإنتاج النثري، ورغم ذلك نجد هذه الفكرة تُطرح وبقوة في عدد من قصص يهودا ليف جوردون (3) وعلى رأسها قصة (רחמת אם شفقة أم)، وقد ركز البحث على هذه القصة بالذات لما رسمته من لوحة رمزية عبرت بجلاء عن قصور الشريعة اليهودية، حيث بات إجراء إصلاحات عليها أمراً ضرورياً وملحاً، وكما قال النقاد" انفتح في عصر الهسكالا الباب لينفصل الأدب العبري الحديث عن هذه التبعية للأدب الديني." [4]

لقد تناول جوردون في نتاجه الأدبي العديد من أوجه القصور في اليهودية، وفي عقول أتباعها، وفي تزمت ربانيها وقسوة قلوبهم، وقد جاءت هذه القصة لتسلط سيفاً جديداً بتاراً عله يدمي قلوب اليهود، ويفتح آفاق عقولهم على ضرورة الإصلاح الديني الحتمي، ألا وهو سيف الردة عن الدين اليهودي ونبذه والتفضيل عليه.

ويتميز تناول جوردون لهذه القضية بأنه لا يلوم المرتد، ولا يلقي باللوم على مجتمعه الذي يعيش فيه، فلا يصم هذا المجتمع بالاضطهاد، فيكون الارتداد عن الدين مُلقاً على عاتق الفقر أو الذل أو التمييز الديني أو حتى على عاتق ضعف الإيمان لدى المرتد، كي يحمل المسئولية كاملة للشريعة اليهودية وربانيها الرافضين للإصلاح، فيصيب سهمه ما أراد ومن أراد.

وإذا كان تناول هذه القصة يثبت أن القص العبري الحديث قد بدأ مع بداية عصر الهسكالا مما يعطي للمضمون المطروح تأصيلاً، ويؤكد على أن القصة لم تبدأ مع إطلالة عصر الإحياء الصهيوني، بل في تاريخ سابق على ذلك، فإن ما سيتم تناوله في عجالة من نماذج للارتداد عن اليهودية في القص العبري الحديث في مكانه من البحث كان الهدف منه التدليل على استمرارية تناول هذه القضية التي تم التعبير عنها منذ البدايات المبكرة للأدب العبري الحديث، ويسبق ذلك تمهيد يعطي نبذة سريعة عن الارتداد في الفكر اليهودي، ونبذة عن الصراع القائم بين رجال الدين الحسيديم الأكثر تزمتاً، وبين أدباء الهسكالا الداعين إلى الاندماج والأفكار التنويرية وعلى رأسهم جوردون، ويلي ذلك تفصيل الحديث عن النموذج الرئيس في البحث وهو قصة (רחמת אם شفقة أم) .

وسيتم ذلك من خلال دراسة تحليلية نقدية لمضامين الارتداد في القصة وكذا للوسائل الفنية التي عرض بها الكاتب لمضمونه، تقصد التدليل على تحقق أهداف البحث والتأكيد على رسوخها في قصة (شفقة أم) كنموذج.

ومن الدراسات السابقة:

1- راوي ، أحمد كامل: توظيف الأدب العبري لقضية اعتناق اليهودي الإسلام من خلال رواية (והוא אחר وصار شخصاً آخر) للأديب شمعون بلاص ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد 39 ، 2007 . وهذا البحث يتناول القضية من خلال عمل آخر غير النموذج الرئيس في بحثى، كما يركز على الارتداد عن اليهودية إلى الإسلام، بينما القصة موضوع البحث بها ارتداد عن اليهودية إلى المسيحية، وقد نوه البحث في عرض سريع عن رواية بلاص التي لا يمكن إغفال الحديث عنها عند التصدي لمثل هذا الموضوع.

2- عطية، رهام سيد: الاغتراب والتجوال في الرواية عند شمعون بلاص. دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2008 ، قسم اللغات الشرقية وآدابها. وقد عُنيت هذه الرسالة بموضوعي الاغتراب والتجوال كأساس، وكان الاغتراب الديني يمثل مظهراً من المظاهر الاغترابية التي أثرت في شخصية الأبطال وزادت من حدة اغترابهم، وهذا التناول يبتعد عن هدف البحث الذي أوردته آنفاً.

التمهيد

1- نبذة عن الارتداد عن اليهودية في الفكر اليهودي:

في سفر الخروج، وكذا في سفر التثنية إشارات إلى رفض اليهودية فكرة الارتداد عنها، وعقوبة القتل والتيه للمرتد[5]، ولكن هذين السفرين يركزان على الارتداد عن اليهودية كدين توحيدي إلى الوثنية وعبادة الأصنام، ولكن لم يرد حكم صريح للارتداد عن اليهودية إلى أي دين توحيدي آخر، كما أن الارتداد عن اليهودية إلى الإسلام والمسيحية غير معترف به في اليهودية، فيعتبر المرتد يهودياً حتى وإن كان بفعلته هذه آثماً، والاثم هنا نابع من أن اليهودي لا يرتد حتى وإن كان مضطراً، إذ يفضل له أن يسير بقدميه نحو الموت على أن يسير في اتجاه الارتداد عن الدين، وتلتصق بالمرتد ألقاب عدة أشهرها (משמד مارق- מומר مرتد جاحد) وهي ألقاب مهينة تسبقها كلمة (יהודי يهودي)، فهو يهودي شاء أم أبى.[6]

2- نبذة عن الصراع بين أدباء الهسكالا ورجال الدين الحسيديم:

كانت فكرة الاندماج، والأخذ بالعلوم الحديثة، وتعلم اللغات المختلفة هي نقيضة الحسيدية الداعية إلى الانغلاق والتقوقع على الأفكار العقيمة، التي تعتبر العلم والتعلم هما المرادفان للكفر والإلحاد، وأشعل هذا التناقض بين الأفكار التنويرية والأفكار الحسيدية حرباً نشبت بين الحسيديم وأدباء الهسكالا ولا سيما جوردون، إذ يتسم جوردون كأديب بالتمرد والثورة على أوضاع اليهود، كما يتسم بسمات المصلح، وهو الأديب الثائر على الوضع الديني لليهود وعلى التزمت

الحسيدي بانغلاقه وجموده الديني ونمطيته، وهو الداعي إلى إجراء إصلاحات دينية، كما أنه الأديب الثائر على انعزال اليهود الاجتماعي في الجيتو والقاهال والشتيتل وغيرها من التجمعات اليهودية الأخرى في البلدان التي عاشوا بين ظهرانيها .

أثار تمرد جوردون حفيظة رجال الدين الحسيديم ضده، وطاردوه وكانوا سبباً في إيداعه السجن، ولم يكتف جوردون بكتابة الشعر الثائر المعادي لأفكار الحسيديم البالية، بل طرق مجال كتابة القصة ليبثها أفكاره التي وصلت إلى حد إيجاد المبررات للمرتد عن اليهودية.

الارتداد عن اليهودية وانعكاساته في القص العبري الحديث

يعد موضوع الارتداد عن اليهودية موضوعاً مطروحاً أيضاً في الأدب العبري على امتداد مراحله، ويمكننا أن نقسم هذا التناول إلى:

أولاً: الارتداد عن اليهودية إلى المسيحية:

لعل إحدى القصص المعبرة عن موضوع الارتداد عن اليهودية إلى المسيحية هي قصة (בדמי ימיה في ريعان شبابها) لعجنون[7]، الذي تميز تناوله لهذا الموضوع برمزية غاصت في عمقه ووجدت لها معادلاً موضوعياً من خلال مقارنة بين الارتداد عن اليهودية والفراق عن الحبيب الأول بلا رجعة، وتحكي عن البطلة (ليئة לאה) التي نبض قلبها بحب (عقبيا مازل עקביה מזל) الذي لم يقدر لها الزواج به، حيث يجبرها والدها على الزواج بآخر أكثر مالاً وأعلى مكانة، وتظل البطلة على طول صفحات القصة رافضة لهذه الزيجة تحيا حياة كئيبة إلى أن تكلل هذه الكآبة بمشهد موت تراجيدي تحكيه ابنتها وهي تستشعر المرارة، لتبدأ فصول حكاية جديدة لابنتها التي تقع هي الأخرى في حب حبيب أمها (عقبيا)، ويبادلها هو الشعور ربما لأنه يستشعر أنها امتداد لأمها التي فقدها رغماً عنه، وهذا البطل يمثل بأسرته الصغيرة التي تتكون منه هو وأمه وأبيه عدداً من الرموز تبدأ برمز الجشع الظامئ للمال الذي يمثله أبيه كما مثله من قبل والد البطلة. فوالده ارتد عن دينه اليهودي إلى المسيحية رغبة منه في أن يرفع من مكانته الاجتماعية ووضعه في المجتمع المسيحي، هذا الموقف الذي رفضته الأم وظلت ثابتة على دينها اليهودي لتمثل رمزاً للثبات على الدين ونبذ الردة عنه. ويؤكد النقاد على أن هذا الموقف يشبه موقف البطلة (ليئة) في رفضها لزيجتها التي أجبرت عليها[8]، وقد تجلى رفض البطلة من خلال مرضها وذبولها الجسدي الذي ارتوى من معين نفسها المعذبة، وتكون نهاية هذه الزيجة غير المرغوبة من جانب (ليئة) هو الموت في ريعان الشباب ليعبر لنا عن قمة الرفض وكراهية الحياة، وتصف لنا ابنة البطلة حياة أمها القصيرة والكئيبة بقولها:

"בדמי ימיה מתה אמי. כבת שלושים שנה ושנה הייתה אמי במותה. מעט ורעים היו ימי חייה. כל היום ישבה בבית ומן הבית לא יצאה. רעותיה ושכונותיה לא באו

לבקרה וגם אבי לא הקדיש את קרואיו. דומם עמד ביתנו ביגונו דלתיו לזר לא נפתחו. על מיטתה שכבה אמי ודבריה היו מעטים." [9]

" ماتت أمي في ريعان شبابها، ماتت وهي تبلغ من العمر واحد وثلاثين عاماً، إن سنوات حياتها قصيرة ومريعة، كانت تقضي يومها في البيت ولم تخرج منه قط، ولم تأت صديقاتها وجاراتها لزيارتها، وكذا أبي لم يخصص لها وقتاً، ظل بيتنا صامتاً مطبقاً على أحزانه، وبابه لم يفتح لغريب، ثم رقدت أمي على مضجعها وأصبح حديثها مقتضباً."

إن الرمزية تستمر على طول صفحات القصة. فالموقف الثابت لوالدة (عقبيا مازل) وتمسكها بشريعتها يستمر في صورة تمسك ابنها بحبه، وحب (ليئة) لحبيبها (عقبيا) يستمر في صورة ابنتها التي تتزوج من (عقبيا) ليعبر الموقفان عن أن الأمر لن ينتهي رغم فرضية الظروف.

الارتداد عن اليهودية إلى الإسلام:

نجد في رواية (והוא אחר إنه شخص آخر) لشمعون بلاص(10) إشارة أيضاً إلى الارتداد عن اليهودية، بيد أن الارتداد في هذه المرة كان من اليهودية إلى الإسلام، ولكن بلاص قد أكد على أن الارتداد عن اليهودية نبع من قصور اليهودية في تحقيق مآرب أصحابها، وربطها كذلك بالرغبة في الزواج، كما أكد على تقاضي الربانيم للرشوة، فهم يمكنهم مخالفة الشريعة مقابل حفنة من المال، ولكنهم يقفون ضد إجراء الإصلاحات المحمودة عليها، ويجتمع هذا الطرح في الفقرة التالية:

" הפתרון היה חמש – עשרה לירות זהב כדמי לא יחרץ לרב . הועמדנו במצב מתסכל כאשר נאמר לנו ، אחרי נישואינו בקונסוליה האמריקאית ، כי החוק הנהוג היה אז בסוריה רבתי ، לא מכיר בנישואיין אזרחיים ועלינו להתחתן שנית בטקס דתי בהתאם לדת שאליה משתייך הבעל ، קשה היה לי להשלים עם רוע הגזרה וחשבתי ברצינות להתאסלם ، כדי להציל את ג'יין מעינויי גיור ארוכים ומשפילים . אבל אחרי ששאלתי בעצת יהודים ממכרי נרמז לי לנקוט בדרך המקובלת והופניתי אל רב שב – זקן שלא שאל ולא דרש . בזהב מוכן היה למכור גם את אלוהיו . " [11]

" كان الحل 15 جنيهاً من الذهب كرشوة غير مرفوضة من الربي، إذ وقفنا في موقف مربك عندما قيل لنا بعد زواجنا في القنصلية الأمريكية أن القانون الذي كان معمولاً به حينذاك في سوريا حاخامي، ولا يعترف بالزواج المدني وعلينا أن نتزوج مرة أخرى بمراسم دينية طبقاً للدين الذي ينتمي إليه الزوج، وكان صعباً عليَّ أن استسلم مع سوء العاقبة وفكرت جدياً في أن أدخل في الإسلام حتى أنقذ (جين) من معاناة تهويد طويلة ومهينة، ولكن بعد أن طلبت نصيحة يهود من معارفي ألمحوا لي أن أتبع الطريقة المعمول بها، توجهت إلى حاخام أشيب لم يسأل ولم يطلب وكان مستعداً أيضاً من أجل الذهب أن يبيع إلهه. "

يرى بعض النقاد أن ارتباط البطل اليهودي بـ (جين) المسيحية مع اغترابه

عن أخيه الذي رفض زواجه منها هو رمز لاغترابه عن اليهودية كدين ودافع من بين دوافع اتخاذه لقرار التحول إلى الإسلام، فقد بدا له الإسلام كدين متساهل لا يعترض على مثل هذه الزيجات، بينما تعترض اليهودية التي كرهها البطل في صورة أخيه القاسي. (12)

تجدر الإشارة إلى أن قضية اعتناق اليهودي للإسلام تعد إحدى القضايا ذات الأهمية حين تطرح في عمل أدبي عبري، فهي من القضايا التي يحجم بعض الأدباء عن التطرق إليها في الأدب العبري، ورغم ذلك نجد منهم من يطرحها طرحاً مقصوداً للفت الأنظار إليها، والتنبيه على خطورتها، وكان من أهم الأسباب التي جعلت بعض الأدباء في العصر الحديث والمعاصر يحجمون عن التطرق إلى هذا الموضوع:

1- المفاهيم الدينية العنصرية في اليهودية التي تجعل اليهود أعلى شأناً، وتجعل غيرهم أحط شأناً، لذلك لا يلتفتون للحديث عن الديانات الأخرى على أنها ديانات أقل. (13)

2- النظرة العدائية للإسلام خاصة، واتهامه بالجمود والرجعية، واتهام أصحابه بالهمجية والعدوانية. (14)

3- الأدب العبري أدب موظف لخدمة الأهداف اليهودية، ولذلك كان من غير المحبذ لديهم تناول هذه القضية التي تضر مصالحهم أكثر مما تفيدها. (15)

وقد اعتنق عدد كبير من اليهود الإسلام منذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام من الأحبار ورجال الدين اليهودي، كما اعتنق عدد من الوزراء في عهد الدولة الفاطمية الإسلام، واعتنق الإسلام كذلك عدد من العلماء اليهود، وكان اليهود يدخلون الإسلام بسبب اختلاطهم بالمسلمين ومعايشتهم للثقافة الإسلامية وإدراكهم لسموها (16)، وكان هذا الأمر يتم طواعية دون جبر أو إرهاب، وليس أدل على ذلك من أن اعتناقهم للإسلام كان يتم بصورة فردية، وإلا لكان القهر أدى بهم إلى دخول الإسلام أسراباً وجماعات، وهناك القليل من الكتب اليهودية التي تعترف بهذه الحقيقة، ومن بين من اعتنق الإسلام في العصر الحديث ومن يهود العراق خاصة هو المؤرخ المعروف (نسيم سوسة)، والذي غير اسمه بعد إسلامه إلى (أحمد سوسة)، وهو الاسم الذي عُرف به منذ ذلك الحين. (17)

ويؤكد النقاد أن شمعون بلاص قد استقى اسم بطل روايته (أحمد سوسن) اقتباساً من اسم المؤرخ اليهودي معتنق الإسلام (أحمد سوسة) (18)، وكأنه يشكك في إسلام (أحمد سوسة) بتشكيكه في إسلام البطل.

ويحمل بلاص المجتمع جزءا من الذنب في ارتداد اليهودي عن دينه، ولا يحمل الذنب كله للشريعة اليهودية الأمر الذي لم يفعله أدباء آخرون وعلى رأسهم جوردون كما سيتضح لنا من لاحق أجزاء البحث، ولعل ذلك يتجلى من خلال طرح بلاص لشخصية أخرى تتوازى مع شخصية بطل روايته وهي شخصية (أسعد)،

الذي حاول أن يداهن المجتمع الإسلامي في العراق ليبقى على دينه [19]، وعندما فشل قرر الهجرة إلى فلسطين لتجنب الارتداد عن الدين بفرض من المجتمع، وها هو الكاتب يصف لنا هذه الشخصية على لسان البطل نفسه، على أنها شخصية المناضل ثابت الجنان، الذي استطاع بشجاعة الحفاظ على دينه، والهروب به بعيداً:

" דבר אחד רוצה אני לומר לאסעד : אסעד ידידי ، על אף הכל ، על אף הטינה ששמרתה לי בלבך ، יחסי אליך לא השתנה ، וגם עתה שאתה יושב במדינת היהודים ، אחרי שלא אתה אלא הנסיבות הכריעו בשבילך . הריני אומר לך במלוא הכנות אני מכבד אותך." [20]

" أمر واحد أريد أن أقوله لـ(أسعد): صديقي (أسعد) رغم كل شيء ورغم الضغينة، التي حفظتها لي في قلبك، فإن علاقتي بك لم تتغير، والآن كذلك وأنت تعيش في دولة اليهود بعد أن فرضت عليك الظروف ذلك ليس إلا، هاأنا أقول لك بإخلاص إنني أحترمك."

كأن البطل في هذه الفقرة يمتدح سلوك (أسعد) وقدرته على التمسك بدينه، حتى وإن رحل عن العراق ، فهو يتهم المجتمع والظروف ويحترم (أسعد) .

لقد أظهر لنا شمعون بلاص درب الحياة في العراق وكأنه درب مظلم في وجه اليهود، وكأن لا حيلة لليهود سوى التخلي عن دينهم أو مبادئهم التي يؤمنون بها في سبيل بقائهم في وطنهم وفوزهم باحترام مجتمعهم، رغم أن هذا الاتهام ليس حقيقياً كما يظهر لنا من فقرات أخرى من الرواية التي صاغها بلاص نفسه. [21]

نخلص من ذلك إلى أن هذا الطرح لموضوع الارتداد عن اليهودية في الأدب العبري الحديث قد اتسم بالاستمرارية، إذ لم يخب نجمه عن سماء النتاج الأدبي العبري الحديث منذ مراحله المتقدمة وحتى مراحله المتأخرة.

وهكذا ينتفي تركيز التهمة في الأدب العبري في عصر الهسكالا ، تلك التهمة التي ألصقها به عدد كبير من النقاد، من أنه عصر التمرد على الدين ونبذ الشريعة[22] لتمتد شاملة مراحل الأدب العبري الحديث بأكمله، وحتى هذا العصر الذي يطلق عليه الأدب العبري المعاصر، فالاغتراب عن الدين في الأدب العبري الحديث هو اغتراب شمل مراحله كافة، ونثر بذوره في تربة كل مرحلة لتنمو وتتغول وتصبح موضوعاً لا يمكن تجاهله أو غض البصر عنه، وهو الأمر الذي أدى في كثير من الأحوال إلى الارتداد عن اليهودية.

الارتداد عن اليهودية في قصة (شفقة أم)

أولاً: ملخص القصة:

تتوازى في هذه القصة موضوع البحث شخصيتان رئيستان، الأولى : شخصية الكاتب وهو في الوقت ذاته الراوي لأحداث القصة، وهو الذي يصف لنا شعوره وفضوله لرسالة وصلته من بطلة القصة تبغي فيها لقاءه لأمر مهم وعاجل،

كما يصف لنا مشاعر البطلة التي أمامه. والثانية: شخصية بطلة القصة والراوية لأحداثها، هذه الأحداث التي يرويها الكاتب على لسانه كما سمعها منها، والأديب هو الذي يصف لنا مشاعرها وحرصها على التخفي والسرية الشديدة، لينكشف لنا من خلال الحكاية أن البطلة هي امرأة يهودية ارتدت عن دينها لتتزوج من مسيحي فرنسي، وأمها قد أخفت هي الأخرى يهوديتها حتى لا ينفضح أمر ابنتها وزوجها الذي يعمل قائداً في الجيش، وبعد وفاة الأم تدفن إمعاناً في السرية في مقابر المسيحيين، وتتوجه ابنتها إلى رجل يهودي أمين يتولى أمور الطائفة اليهودية لتبوح له بسرها، وتناشده أن يجعل مؤدي الصلاة في المعبد اليهودي يصلي على أمها تنفيذاً لوصية الأم، ويتضح لنا أيضاً من خلال الحكاية أن البطلة وأسرتها المكونة من الأم والأب والابن والابنة كانت تعيش في رغد وهناء في فرنسا، ثم ينقلب حالهم بمرض الأب ثم موته، وهجر الأخ لبيت الأسرة لخلاف له مع أبيه قبل وفاته، وتحب البطلة صديق أخيها المسيحي وتتزوجه بموافقة من أمها ضاربتان عرض الحائط بدينهما، وذلك في تحد صارخ لليهودية وارتداد عنها.

ثانياً: دراسة في مضمون الارتداد عن اليهودية في القصة

يتضح مضمون الارتداد في القصة من خلال عدة محاور:

المحور الأول : حرص البطلة على السرية إخفاء لشخصيتها:

يؤكد الوصف في القصة ، وكذا سرد الأحداث، على مدى حرص البطلة على سرية ما تقول، ومدى رغبتها في التخفي والتستر بعيداً عن أعين الناس، ويرد ذلك في أكثر من موضع في القصة نذكر منها على سبيل المثال:

• الرسالة التي بعثت بها للأديب وبطل القصة، وهي رسالة غامضة تثير الفضول والتساؤل، ويظهر لنا من خلال سطورها هذه الرغبة بشكل صارخ:

"אשה פלונית אלמונית אשר דבר סתר לה،בוא תבוא אליך היום בשעה הששית בעת ערב، וחפצה למצוא אותך בביתך בגופך לבלי יודע לאיש כי באה אליך הביתה." (23)

" أنا أرملة بولندية لدي ما أخفيه، وسوف آتيك اليوم في الساعة السادسة مساء وأبغي أن أجدك وحدك في بيتك دون أن يعرف أحد أنني سأحضر إلى دارك ."

ولا يظهر هذا الغموض فقط في مضمون الرسالة، بل في طريقة كتابة الحروف، وفي كونها رسالة غير موقعة:

" תוי הכתב היו משונים מכוונה ... כדי להעלים את הכותב ... שם הכותבת לא היה חתום על המכתב ." (24)

" كانت حروف الكتابة غريبة عن عمد ... وذلك لإخفاء الكاتب ... واسم الكاتبة غير موقع على الخطاب."

• عند اللقاء مع كاتبة الرسالة، ومنذ اللحظة الأولى التي فتح فيها الأديب وصاحب الدار الباب لضيفته، كانت متشحة بالسواد، وملثمة بحجاب أسود تغطي به وجهها:

" אשה לפני לובשת שחורים וצעיף שחור ... עבותה על פניה." [25]
" أمامي امرأة تتشح بالسواد وتغطي وجهها بغطاء أسود."

وفي هذا دلالة واضحة على الغموض والتخفي الذي يظهر من خلاله الرغبة الشديدة في جعل الأمر سرياً للغاية إلى حد ألا تجعل أحداً يستدل على شخصية من حضر إلى دار الأديب .

• تستمر هذه الرغبة، بل وتصل إلى حد الوسوسة من خلال تلفت الضيفة يميناً ويساراً لتتأكد أن الأديب وحده، بل وبعد ذلك بعد أن يطمئنها صاحب البيت بعد أن يدرك نيتها، تعاود التأكيد عليه أن يظل الأمر محض السرية، وذلك بعد أن تجلس وتبدأ في سرد قصتها :

" היא בטרם תשב ותפן כה וכה לראות אם אין איש אתי בבית." [26]
" وقبل أن تجلس تلتفت هنا وهناك لترى إن كان يوجد أحد معي في البيت أم لا."

أما بعد أن تجلس وقبل أن تبدأ حديثها نقرأ:

" הבטיחני כי כל הדברים אשר אדבר באזניך לא יודכו לאיש זולתך אם תעשה את בקשתי ואם תחדל." [27]
" أكد لي أن الكلمات التي سأتفوه بها لك سراً لن يعرف بها أحد غيرك، سواء فعلت ما أريد أو تخاذلت عن فعله."

المحور الثاني : العلاقة القوية بين الابنة والأم:

يدخل الحديث عن هذا المحور من باب الحديث عما يسمى بعتبات النص، ومن العتبات النصية الداخلية المحيطة (العنوان ودلالته)، وهذه العتبة النصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكاتب، وما يريد التأكيد عليه وتوجيه فكر القارئ إلى أهميته[28]، حيث تدور أحداث القصة حول هذا المحور بالذات، وهذا منذ العنوان (רחמת אם شفقة أم) الذي نُعتت فيه الأم بالشفقة والرحمة والإنسانية بناء على ما جاء في رواية الابنة التي تشفق بدورها على أمها، إذ تُحمل الابنة نفسها عناء السفر لتتحدث إلى رجل أمين يقوم على رعاية أمور اليهود في موضوع يخص أمها في المقام الأول، ألا وهو رغبة الابنة في أن تتم الصلاة على روح أمها في المعبد اليهودي رغم أنها لم تدفن في مقابر اليهود، تلك الأم التي قبلت بزواج ابنتها اليهودية من رجل مسيحي شفقة بها، ورأفة بحالها، وحفاظاً على شعورها، وثقة في هذا الرجل الذي تعرف مميزاته جيداً، وتتضح لنا شفقة الأم من خلال هذه الفقرة:

" נפשך יודעת מאוד את המכשול אשר לפניך . בינך או בין מחוז חפצך הר גבוה ותלול וראשו בשמים ... לא אכזרית אני כי אתיצב לפניכם." [29]
"أنت تعرفين في داخلك جيداً العقبة التي أمامك، فبينك وبين هوى نفسك جبل عال شاهق يناطح السماء ... ولست أنا بقاسية حتى أقف في وجهيكما."

ترى الأم أن من القسوة أن تقف في طريق ابنتها في زواجها من رجل مسيحي، وإن كانت تعرف أن هذا الأمر أزمة كبيرة وردة عن الدين اليهودي، ولكن

القسوة من وجهة نظرها ليست في الارتداد عن الدين، ولكن في أن تجعل قلب ابنتها يقاسي البعد عمن تحب، وتحمل هذه الفقرة ضمنياً رضا الأم عن الزوج المستقبلي لابنتها لدرجة أنها لا ترى غضاضة في معارضة ابنتها لتعاليم دينها من أجله، بل تجد أنه من القسوة أن تقف حجر عثرة في طريق ابنتها ومن تحب، وترى أن هذا تعنت من الشريعة اليهودية.

قد أكدت هذه الفقرة على اتساق عضوي ومعنوي مع العنوان، وأكدت كذلك على أهمية هذا العنوان كعتبة نصية، ففي هذا النص إذا ما تم ربطه بالعنوان مقاربة للمعنى إلى ذهن القارئ، يساعده على استنباط معان كثيرة خافية.

وتأكيداً على المعنى ذاته تعيش الأم مع ابنتها وهي تخفي حقيقة كونها يهودية، وكأن هذا عار وعليها أن تخفيه، فهي أمام الناس مسيحية، ولكنها لا تزال على دينها هي وابنتها، فقد جعلت ابنتها تعدها هي وزوجها أنها لن تغير دينها وإن أخفت ذلك:

"תבטוחוני כי לא תחליף בתי ולא תמיר את דת אבותיה לעולם השבעו לי על הדבר הזה ... גמרנו אומר להסתיר בסוד סודות." (30)

" عداني أن ابنتي لن تبدل أو تغير دين آبائها أبداً، أقسما لي على هذا الأمر... وحسمنا القرار بأن نخفي سر الأسرار هذا."

ومن شفقة الابنة بأمها أنها وعدتها هذا الوعد وإن كانت قد نفذته غير مقتنعة، كما أرادت أن تحقق أمنية أمها بعد موتها، وهي أن تجعل المعبد اليهودي يصلي عليها رغم أنها لم تدفن في مدافن اليهود لإخفائها لدينها من أجل صالح ابنتها ومستقبل زوجها، فمن العار على قائد الجيش في فرنسا أن يكون له زوجة يهودية وأبناء ينتمون بأصولهم إلى اليهود، والرغبة الشديدة لدى الابنة لتحقيق أمنية الأم ذهبت لأحد رؤساء الجالية اليهودية الأمناء لتُفضي له بسرها وتسأله الصلاة على أمها.

المحور الثالث: جناية الشريعة اليهودية على أتباعها:

يلصق الكاتب بالشريعة اليهودية تهمة القصور، وعدم الصلاحية، فهي بمثابة الخزي والفضيحة، هي وصمة عار على جبين أتباعها، ولذلك يورد في قصته مثالاً دالاً على هذه الصفات السلبية التي توصم بها تلك الشريعة ، بل وإمعاناً في إلصاق هذه التهمة بالشريعة يجعل البطلة تؤكد في روايتها أنها تعيش في باريس حياة من الحرية بدون تمييز ديني، فلليهود حرية في العبادة وفي الدراسة وفي العمل، حيث يعمل والدها في مجال الصناعة، هذا العمل الذي ساعده فيه أخوها بعد إتمام دراسته:

"בארץ ההיא קנאת הדת איננה והבדל המעמדות לא נהיה ... כלה אחי את חוק למודיו בבית - הספר והוא אז כבן שבע עשרה שנה ויספחהו אבי אל בית מרכולתו."(31)

" في تلك البلاد لا يوجد تمييز ديني ولا توجد فروق اجتماعية ... وها قد أنهى أخي دراسته في المدرسة، وهو في السابعة عشرة آنذاك، وضمه أبوه إلى مصنعه."

كان اليهود يعيشون حياة طبيعية، كما نجد في سير أحداث القصة التي ترويها البطلة، ورغم أن البلاد التي يعيشون بها تتقبل الآخر وتمنحه كل الحقوق، نجد أتباع اليهودية يتحرجون من دينهم ويخفونه ويتخفون وراء المسيحية التي يرونها أكثر وجاهة وأكثر انتصاراً لأتباعها، بل ويميل قلب البطلة إلى زوج مسيحي غير عابئة بهذا الدين الذي تجد فيه من القصور ما يتيح لها أن تغيره أو على الأقل أن تخفيه وكأنه عار، فهي لا تدفن أمها اليهودية في مقابر اليهود خشية أن ينفضح الأمر بعد موتها حين تظهر هي وأمها في صورة اليهوديتين أمام الجميع، تلك الصورة التي طالما أخفتها ولا ترغب في إظهارها بأي حال من الأحوال، وها هي تقول:

" מי ימוד את שבר ביתי ואסון ילדי לו נודעו כי מזרע היהודים המה! ועל כן כל ימינו היינו עמלים להסתיר הדבר וביחס האל נשאר הדבר כמוס וחתום ולא נודע לאיש."
(32)

" من يُصلح الكسر في بيتي ويمحو المصيبة لدى أولادي لو علموا أنهم من نسل اليهود! ولذلك كنا نجتهد طوال الوقت لإخفاء الأمر وبفضل من الله ظل الأمر خافياً ومستوراً ولا يعرفه أحد."

ويدخل هذا الطرح ضمن ما يطلق عليه الاغتراب عن الدين وهو أحد مظاهر الاغتراب بشكل عام، وهو الذي يدفع البطلة إلى الاغتراب عن الناس كمظهر اغترابي آخر، فالبطلة تجد حرجاً شديداً يكمن في انتمائها إلى اليهودية، وفي اعتبارها من نسل اليهود، ويرى عدد من النقاد أن الاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب. (33)

والحقيقة أن هذا الأمر ليس بغريب، فإن اليهود كانوا يتسمون بسمات مخجلة تجعل من الصعوبة بمكان التعاون معهم أو تقبلهم، ولعل أوضح مثال على ذلك تقارير اللجان التي شكلتها القيصرية الروسية لتفقد أحوال اليهود والتأكد من ولائهم لبلادهم، الأمر الذي جعل وزير مالية روسيا يقول لهرتزل أثناء زيارة الأخير لروسيا سنة 1903 وبناء على هذه التقارير:"إن خمسين بالمائة من معارضي السلطة في روسيا من اليهود، وأن اليهود هم المسئولون عن الشعور المعادي لهم في روسيا، فهم يتسمون بالرعونة والقذارة، حيث إنهم يمارسون أعمالاً قذرة (كالقوادة والربا)، ونتيجة لذلك فإن أصحاب اليهود يصعب عليهم الدفاع عنهم، وفي المعنى نفسه قال (نيقلاي الثاني) آخر قياصرة روسيا في إحدى رسائله إلى زوجته بعد حوادث عام 1905: إن تسعة أعشار المشاغبين يهود، ولذلك انصب غضب الشعب عليهم." (34)

المحور الرابع: تقلبات الدهر وتأثيرها على أسرة البطلة

البطلة تروي قصتها التي هي قصة حياة، والحياة كما نعلم لا تسير على وتيرة واحدة من يُسر الحال والهناء أو ضيق الحال والبلاء، فإذا كانت البطلة وأسرتها قد عاشوا حياة سعيدة في البداية، فقد كان عمل أبيها يسير على خير ما يرام، كما كانت أمها تكرس لهم حياتها وتدير المنزل بتفان وعطاء، كما كانت أحوال دراستها هي وأخيها بخير، وها قد علت مكانة أبيها وأصبح من كبار المسئولين في فرنسا وانتقل إلى العاصمة باريس، وكان بيته هو ملتقى الوزراء وكبار سادة فرنسا:

" בפריז כונן אבי את ביתו כמו רמים, ויהי ביתו פתוח לרווחה לכל המשכימים לפתחו, ורבים מטובי העיר נהרו אליו ואל טובו, בם פקידי המלכות והשרים, בם מלכי ארצות אחרות." [35]

" أسس أبي داره في باريس كالعظماء، وكان بيته مفتوحاً على مصراعيه لكل من يبكر إلى بوابته، وكثير من أعيان المدينة تدفقوا إليه ونهلوا من خيره، ومن بينهم رجالات الدولة والوزراء، ومن بينهم ملوك بلاد أخرى."

وتدلنا هذه الفقرة على حياة من الوفرة والبذخ التي كان يحياها هذا اليهودي في باريس بدون تمييز بسبب يهوديته، حيث ترقى لأعلى المناصب، وكان بيته ملتقى كبار رجالات الدولة والملوك والوزراء، وهذا يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الكاتب لا يتهم الأغيار، ولا يُلقي باللوم على فرنسا وملوكها وقادتها لما سيحل من نحس على هذه الأسرة في لاحق الأيام، كما لا يُلقي على عاتق هذه البلد أي إثم فيما يخص ارتداد البطلة عن دينها هي وأمها علناً وإخفاء يهوديتهما سراً، فهذا ليس ذنب المجتمع الكريم المعطاء كما أراد أن يقول الكاتب، وفي هذا المحور تأكيد على الفكرة السابقة، ألا وهي أن الشريعة هي التي جنت على أبنائها، وليس أبناؤها هم من جنوا عليها بالتنكر لها والخجل منها.

وإذا كانت هذه القصة قد عرضت لنا جانباً من حياة اليهود في فرنسا، وكيف عاش هؤلاء اليهود في هناء يرفلون في النعيم، فقد أكد عدد كبير من النقاد المعنيين بدراسة أدب الهسكالا أن هذا كان حال اليهود في عدد من بلدان أوروبا، فكتب كثير منهم العديد من الكتب حول اندماج اليهود في ألمانيا مؤكدين على أن مندلسون لم يكن هو السبب وحده في هذا الاندماج[36]، كما لا يمكن كذلك أن يُلقى هذا السبب على أكتاف أدباء الهسكالا وحدهم، بل إن اليهود راق لهم حياة الألمان ومظهرهم الذي أحبوا تقليده، كما ساء في أعينهم وضع اليهود وضيق أفقهم الذي كرهوا تمثيله [37]، حيث وصل بهم الأمر إلى حد التحول إلى المسيحية [38]، ويبدو لنا _كما ذكرنا آنفا _في حديثنا عن يهود العراق في الأدب العبري المعاصر في رواية (إنه شخص آخر) لبلاص أن يهود العراق كذلك قد أورثهم دينهم اغتراباً شاملاً بكل مظاهره، لنصل إلى نتيجة منطقية تكمن في أن جوهر الأمر متجسد في هذه الشريعة البعيدة عن صحيح العقيدة التي جنت على أتباعها بربانيها المتزمتين، ومجحف هذا الذي يدعي أن الجماعات اليهودية وحدها هي التي جنت على نفسها

وشريعتها، أو أن الأدباء هم من لعبوا بعقولهم، أو أن الشعوب الأخرى هي التي جنت على اليهود، وإلا لأصبح العالم كله جماعة من الأشرار تطارد قوى الخير النورانية التي لا ذنب لها إلا أنها نقيضة الشر، وهي النتيجة غير الموضوعية وغير المنطقية التي سعى بعض الأدباء إلى التأكيد عليها معتقدين أنهم يخاطبون عقول ساذجة يمكن أن تخدعها تبريراتهم الواهية.

وعودة إلى القصة نجد تحول الأمور الطبيعي يطرأ على هذه الأسرة لأسباب عدة منها تنحية والدها عن مهام عمله، ومرضه الشديد، وغضبه الدائم،وعدم تحمل الابن لسلوك والده معه حيث يهجر بيت الأسرة، فنقرأ عن طرد الأب من عمله:

" כשבת נפליון על כסאו והמלוכה נכונה בידו שלח את כל קריאי העם הראשונים לביתם ויבחרו קריאים חדשים אז התפטר גם אבי מפקודתו." [39]

" عندما جلس نابليون فوق عرشه وتولى زمام الحكم، عزل كل مسئولي الشعب السابقين، وتم اختيار مسئولين جدد، حينذاك استقال أبي كذلك من وظيفته."

تتوالى بعد ذلك نوائب الدهر، ويمرض والد البطلة:

" החל אבי להתחלות וכשל כוחו לעבוד עבודה ... בחורף שנת 1853 שלח אבי את אחי לעמוד בראש עסקיו." [40]

"بدأ أبي يمرض ووهنت قوته عن أي عمل ... وفي شتاء عام 1853 كلف أبي أخي بإدارة أعماله."

وبسبب مرض الأب تكثر عصبيته وغضبه على ابنه وحيده، وشيئاً فشيئاً تفسد العلاقة بينهما، ويترك الابن البيت،وتموت الأم بعد ذلك ثم زوج البطلة في سلسة من المصائب والأحزان التي تأتي تباعاً، ولعل هذا كله يرمز إلى أحزان الشريعة التي لم تعد تواكب العصر، وأصبحت إلى زوال ما لم يتم النظر في إجراء إصلاحات عليها.

ثالثاً: وسائل الكاتب في عرض المضمون:

يقودنا البناء الشكلي للقصة بما يحويه من عناصر فنية وأسلوبية إلى مزيد من التعمق في فهم المضمون وفك ألغازه، وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أنه رغم ظهور بعض محاولات الكتابة القصصية في عصر الهسكالا، إلا أن القصة العبرية لم تصل إلى درجة كبيرة من النضج الفني، ويظهر ذلك في عدم الدقة في صياغة الحبكة، ونقص الخبرة في التعامل مع الشخصيات، بالإضافة إلى عناصر القصة الشكلية والبنيوية كافة ، التي لم تصل إلى درجة من النضج الفني إلا مع إطلالة عصر الإحياء الصهيوني. [41]

1- استخدام جوردون للوصف في عرضه للمضمون:

الوصف في النقد القديم والحديث كما نعرف هو حلية الأسلوب[42]، بيد أن

وصف جوردون في قصته يجمع بين السرد المعيب في بعض الأحيان، وبين التشويق المثير لمشاعر القراء في أحيان أخرى، هذا التشويق الذي يحثهم على المتابعة في فضول واستمتاع، فإذا به يستثير مشاعر القراء منذ بداية حكايته عن الخطاب الذي وصله، مما يثير فضول القارئ لمعرفة صاحبة الخطاب وسبب كتابتها له، بل ويصل بهذا الفضول إلى الذروة حيث يضع بعض الاحتمالات المنطقية وغير المنطقية زيادة في التشويق، فقد قفز في رأسه أن هذه المرأة هي الشيطان الذي يثير فيه غريزته الرجولية، فيقول:

" אולי יצר הרע הוא הבא אלי בדמות אשה כדי להעמידני בניסיון?!"[43]

" ربما هي غريزة الشر التي جاءت إليَّ في صورة امرأة حتى تضعني في امتحان؟!"

بالإضافة إلى هذا الأسلوب المحمود في الوصف المشوق، نجد إسهاباً في وصف المرأة حين قابلها:

" אמנם קומתה כתמר ומבנה גוה איתן ויופי פעמיה ענו בה כי אשה יפת תואר במבחר שנותיה מבנות מרום עם הארץ היא... אשה בחצי ימיה כבת שלושים וחמש עיניה מלאות זיו ומפיקות חכמת לב מתחת לגבותיהן השחורות צמתה כשער ראשה פניה צחות כשיש טהור ולחייה מאדמות כאלו עיפה בלכתה וחקוק על מצחה מצחון רוח ותוגה חרישית." [44]

" حقاً قامتها كالنخيل، وهيئة ظهرها السامق وجمال ملامحها تدل على أنها امرأة جميلة المظهر في أفضل سنوات عمرها، وأنها من بنات أكابر اليهود... إنها امرأة في منتصف العمر تناهز الخامسة والثلاثين ربيعاً، عيناها ملؤهما الحسن تشعان بالحكمة من أسفل حاجبيها السوداوين المفترقين كشعر رأسها، ووجهها ناصع كالرخام النقي، ووجنتاها حمراوان وكأنها أنهكت في رحلتها، والحزن والأسى العميقان محفوران على جبهتها."

ويؤكد النقاد على أن الوصف في القصة رغم أهميته، إلا أنه لا يعني الإسهاب قدر ما يعني الإيجاز غير المخل: "إن الوصف في القصة عنصر فعال ومؤثر، ولكن الإطالة فيه تؤدي إلى السرد المعيب، فينبغي أن تكون الصورة ذات بعد ثالث، أي تعبر بقليل من كلمات الوصف عن المعنى بشكل مجسد، وكأننا نرى أمامنا لوحة متحركة مع الغنى عن إفراد المزيد من الصفحات في وصف لا طائل من ورائه يؤدي بالقارئ إلى الملل، ويخل بتتابع الأحداث وبعنصر التشويق." (45)

يعود ويطل علينا عنصر التشويق مرة أخرى في قصة جوردون، إذ تقل في القصة الأساليب المباشرة، وتكثر الأساليب الإنشائية خاصة في صيغ السؤال، فإذا كان البطل وراوي القصة قد أكثر من الاستنتاجات وطرح الأسئلة محاولاً الكشف عما يجول في خاطره ومحفزاً للقارئ على المتابعة، فبطلة القصة كذلك تطرح التساؤلات وتبدأ في رواية حكايتها منذ الصفحة الثانية من القصة، في متابعة من القارئ الذي يتعجل النهاية ليتكشف له السر، فإذا بالبطلة تتساءل قائلة:

" היש בידך למלאות ידי אחד מפועלי התפלות בבית-הכנסת ויאמר קדיש על אשה יהודית שהלכה לעולמה ויזכירו נשמתה למשך שנה؟" [46]
" هل تستطيع أن تجعل أحد مؤدي الصلوات في المعبد أن يتلو صلاة القاديش[47] على امرأة يهودية فارقت الحياة ويُبقي ذكرها لمدة عام؟"

وبعد أن يجيبها البطل بأن هذا أمر يسير جداً، لأن المعبد ببساطة مخصص للصلاة والدعاء، فإذا بالبطلة تجيب إجابة غير متوقعة:

" ידוע תדע כי האשה המתה אף כי חיתה ומתה באמונתה אבל לא באה לקברות ישראל." [48]
" أنت لا تعرف أن المرأة الميتة رغم أنها عاشت وماتت على عقيدتها إلا أنها لم تدفن في مقابر اليهود."

هذه الجملة قد كشفت قليلاً من غموض الموضوع، وإن كانت لم تكشف عن كامل السر، وهذا كي يتزايد الفضول لدى القارئ لمعرفة باقي الحكاية، التي تتكشف شيئاً وشيئاً برواية البطلة ليتضح في النهاية السبب في عدم دفن المرأة اليهودية في مقابر اليهود.

ومن خلال سرد الراوية لحكايتها تقدم وصفاً لبعض الشخصيات المهمة في حياتها، فها هي تصف لنا والدها:

" אבי היה מנצח על סחרו ... ועוסק גם בצרכי צבור ... בקרב ביתו היה אבי עד זקנה ושיבה איש מצליח ואיש מבורך ." [49]
" كان أبي ناجحاً في تجارته... ويهتم أيضاً بشئون جمهور (اليهود) ... وفي داخل بيته كان والدي حتى شيخوخته وشيبته رجلاً ناجحاً ورجلاً موفقاً."

كما تصف والدتها بقولها:

" אמי צופיה הליכות ביתה כאשת חיל." [50]
" أمي كانت ترعى شئون بيتها كزوجة باسلة."

ونجد هذا الوصف الإيجابي ينسحب أيضاً على أخيها الذي تقول عنه:

" יפי תואר להלל ומלא כשרונות טובים ואוהב שמחה ותענוגות בני הנעורים."[51]
" كان جميل الهيئة للغاية، وكان متفجراً بإمكانات طيبة، ويهوى البهجة واستمتاع الشباب."

هذا الوصف الإيجابي للشخصيات الذي جاء على لسان الراوية له دلالة خاصة، إذ قُصد به التأكيد على الفكرة الرئيسة التي أراد الكاتب إبرازها، وهي تبرئة ساحة الشخصيات من أي خطأ أو عيب أو نقيصة. فالمرأة التي جاءت إلى الكاتب مرتاعة، وكذا أسرتها كافة، تجمعهم من إيجابيات الصفات الشكلية والجوهرية ما تبرأ بهم عن ارتكاب الذنوب والموبقات، الأمر الذي يجعل سلوك بعضهم من ارتداد عن الدين وتنكر للشريعة أمراً اضطرارياً لا ذنب لهم فيه، فيلتصق الذنب بهذه الشريعة التي يمنع ما بها من نقائص وقصور أن تفي باحتياجات أتباعها، كما أنها

ليست فخراً لهم، بل سيتضح لنا من فقرات أخرى بالقصة أنها كانت على العكس تماماً، فهي عار عليهم ومنغص لحياتهم، وينبغي التأكيد هنا على أن هذه المحاولة من قبل الكاتب لا يقصد بها الانتقاص من اليهودية قدر ما قُصد بها التحريض الشديد والواضح على إجراء الإصلاح الديني.

2 - طريقة تقديم الشخصية:

لا يقع الحدث في القصة من فراغ، ولا بد له من شخصيات خالقة له ومتفاعلة معه، فالشخصية في القصة هي أحد العناصر المؤثرة في سير الأحداث وفي توجيهها، وفهمنا لها يساعدنا على فهم الأحداث وتفسيرها وإدراك قيمتها[52].

يقدم لنا الكاتب لشخصية البطل على أنه الإنسان المسئول الأمين كاتم السر، وهو محل ثقة الجالية اليهودية التي ارتضت أن يتولى حل مشكلاتها وتدبر أمورها، ويبدأ هذا التقديم منذ العنوان كعتبة نصية موحية (רחמי אם . ספור מי שהיה פרנס شفقة أم . قصة من أصبح مسئولاً)، بل ويتضح من خلال شهادة البطلة له بالأمانة، وإحساسها بالطمأنينة في لجوئها إليه:

" רואה אנכי את פניך כי איש נאמן רוח אתה וכן העידו עליך לפני."[53]

" أنا أرى وجهك وجه رجل أمين، وهذا ما قالوه لي عنك."

يقدم لنا الكاتب شخصية البطلة في صورة الإنسانة البائسة شديدة الحزن:

" חקיק על מצחה עצבון רוח ותוגה חרישית." [54]

" الكآبة والأسى العميق محفوران على جبهتها."

ويدلنا هذا التقديم للشخصية على حالها، وما تحمله في قلبها من أحزان كثيرة، فإن لديها ما يؤرقها ويعكر صفو حياتها، وهو أمر تريد أن تنفضه من فوق كاهلها المثقل بالهموم، وفي هذا التقديم لشخصية البطلة إشارة إلى أن الذي تحمله بين حناياها أمر جلل، ارتبط في الأساس بارتدادها عن دينها.

عندما تبدأ البطلة في سرد قصتها تبدأ جولة جديدة من تقديم الشخصيات، فها هي تقدم لنا شخصية والدها:

" אשה יהודית מבנות צרפת אנכי . אבי היה אחד מגדולי עשירי העיר פארדא."[55]

" أنا امرأة يهودية من أبناء فرنسا، وكان والدي أحد كبار أثرياء مدينة بوردو."

ثم تقدم أمها بعد تقديمها لشخصية أبيها :

" אשתו היא אמי נ"ע ... לא פוריה יותר מדי כי הביאה לו רק שני שתילים בן ובת." [56]

" زوجته هي أمي المذكورة أعلاه ... ولم تكن شديدة الخصوبة حيث أنها انجبت له شتلتين فحسب، ابن وابنة."

ثم تقدم لشخصية أخيها الأكبر ناسبة إياه أيضاً إلى أبيها:

" בנו היחיד הוא אחי שמח בלמודים בבית-הספר לסוחרים בבארדא." (57)

" وابنه الوحيد هو أخي، الذي كان سعيداً في دراسته بمدرسة التجاريين في بوردو."

بعد أن تحكي لنا الراوية عن ترقي والدها في المناصب، وسفره إلى باريس، تتكشف أمامنا شخصية جديدة، تقدمها البطلة على أنها صديقة صدوقة

لعائلتها، ألا وهي شخصية الدوق انطونيوس الذي ارتبط بعائلتها برباط من المودة، وكان صديقاً لأخيها الذي انجذب إليه لأنه قريب له في السن:

" בין המון האנשים אשר היו יוצאים ובאים בביתנו לא קרב איש אלינו ולו דבק בנו כמו הדוכס אנטוניוס לאפרעדא בן אחי לאפרעדא ראש שרי המלוכה במלכות ... דפקה נפשו באחי אשר היה בן גילו." (58)

" من بين جمهور الحاضرين إلى بيتنا والراحلين لم يقترب أحد منا أو يلتصق بنا مثل الدوق (انطونيوس لوفرعدو) ابن أخي (لوفرعدو) رئيس الوزراء في المملكة ... والذي ارتبطت روحه بأخي الذي كان من نفس عمره."

هذه الشخصية تمثل نقطة تحول مهمة في مسار الأحداث، بعد أن تنمو بذور المشاعر بين البطلة وبين انطونيوس المسيحي، وتنجرف الأسرة وراء هذه العلاقة، وتضحي بكل نفيس وغال حتى العقيدة في سبيل إتمام الزواج، وتتنكر لشريعتها وتفر منها، وكأن ظهور هذه الشخصية هي الفرصة التي أتاحت لهم هذا الهروب المحمود.

3- الحوار:

للحوار في القصة أهميته، إذ يساعد في تجلية المضمون، وتطور الحدث، وشرح المواقف، ورسم صورة أوضح لشخصيات العمل، فيقول أحد الباحثين: " تنبع أهمية الحوار من إسهامه في القضاء على رتابة السرد، أو تفسير الأحداث، أو التقدم نحو إحكام العقدة الفنية، أو التلويح بالحل، أو شرح سلوكيات الشخصيات، وتزيد أهميته حين يساعد في رسم الشخصيات، والكشف عن مواقفها، فيتقدم الحدث عن طريق الحوار."(59)

وتتعدد أنواع الحوار بين الديالوج والمونولوج، وبالفعل ينقسم الحوار في القصة إلى حوار داخلي أو ما يطلق عليه (مونولوج) وحوار ثنائي أو ما يطلق عليه (ديالوج)، فنجد الأديب يخاطب ذاته ويقول في دخيلة نفسه بعد أن يصله خطاب من امرأة مجهولة تطلب لقاءه:

" מה נשתנה האשה הזאת משאר הנשים? ומה ימריצה בהסתירה את שמה אחרי כי בוא תבוא לראותני פנים בפנים?" (60)

"ماذا تختلف هذه المرأة عن باقي النساء؟ وما الذي يدفعها لتخفي اسمها رغم أنها سوف تأتي لمقابلتي وجهاً لوجه."

إنه يحادث نفسه متسائلاً في حوار داخلي نظراً لفضوله وحيرته ورغبته في العثور على إجابة شافية عن أسئلته.

ونجد السؤال ذاته يطرح نفسه مرة أخرى في حوار متبادل بينه وبين هذه السيدة التي جاءت إلى بيته، وفي تعجل منه لمعرفة سبب اللقاء يجيبها عن سؤالها ويطرح عليها سؤاله مباشرة:

" הנה הגידו לי - פתחה את פיה- כי אתה הוא האיש המוציא והמביא את עסקי קהלת היהודים אשר בזה . הכן הוא הדבר؟

- אמת הגידו לך. ובמה יתרצה עבדך אל גברתו ؟" (61)

" فتحت فاها وقالت: لقد أخبروني أنك المدبر لأمور الجالية اليهودية هنا أحقاً هذا الأمر؟

- بالحق أخبروك . وماذا يستطيع عبدك أن يفعل لسيدته؟"

يفتح لنا الحوار في القصة باباً على الحدث حيث تخبر البطلة الكاتب بأن أمها اليهودية التي لم تدفن في مدافن اليهود تريد أن تجد من يصلي عليها في المعبد صلاة القاديش، فيتعجب الكاتب متسائلاً إذا ما كان هذا الأمر قد حدث عن قصد أم عن غير قصد، فتجيبه البطلة قائلة:

" עלי לספר לך את תולדות חיי ... וידעת אם ברצון או באונס נעשה הדבר."(62)

" عليَّ أن أقص عليك تاريخ حياتي ... وستعرف إن كان هذا الأمر قد تم عن قصد أو عن غير قصد."

ويتجلى لنا من خلال الحوار رحمة الأم بابنتها، وحفظها لسرها طوال سنوات حياتها، إذ نصحتها بالحفاظ على السر قبل موتها، فقد عرفت الأم في حياتها مكان ابنها الذي هجر بيت الأسرة، ولكن لقاءها به كان مستحيلاً حتى لا ينكشف أمر ابنتها وينفضح انتماؤها إلى اليهودية رغم أنها أمام الناس مسيحية وزوجة لرجل مسيحي، فقد جعلت الأم مصلحة الابنة في المقدمة وآثرتها على رغبتها الشخصية في رؤية ابنها، وإذا بالبطل يقول متعجباً بعد أن عرف بعلمها بمكان أخيها:

" אבל אחרי כל אלה האם עתה חוב קדוש להודיעו כי מתה אמו למען יתפלל בעדה - התמלטו מפי מלים .

- אל נא אדוני - ענתה באנחה חרישית אחי האבוד אובד הוא לנו אף כי מצאנוהו ... כי אמי לפני מתה יעצתני ובקשתני לבלי אתודע לאחי ולבלי אציג כף רגלי על בית-מרכולתו." (63)

" - ولكن أليس بعد كل هذا يصبح الآن واجباً مقدساً أن تخبريه بأن أمه قد ماتت كي يصلي من أجلها - انطلقت الكلمات من فمي.

- أجابت بتنهدة صامتة: كلا من فضلك سيدي ... لأن أمي قبل موتها نصحتني وطلبت مني ألا أتعرف على أخي وألا أطأ ورشته بقدمي."

تتكشف من خلال هذا الحوار مدى الشفقة التي ملأت قلب الأم تجاه ابنتها، لدرجة أنها تجاهلت شغفها وحنينها إلى ابنها، فلم تعدو إليه لتطوقه بذراعيها، وجعلت العقل هو المهيمن على تصرفاتها لتحمي مستقبل ابنتها كيلا تتسبب في فضيحتها، وقد وُظف الحوار بذلك لتحقيق هدف القصة الذي ظهر منذ عنوانها (شفقة أم) فإن شفقة الأم ورحمتها وحفظها لسر ابنتها رغم ارتداد الابنة عن اليهودية وصل إلى أقصى حد، إذ كان على حساب حنينها إلى ابنها الذي رُمز به إلى الشريعة، كما سيتضح تفصيلاً من خلال حديثنا عن الرمز في القصة.

4- الرمز:

يفسر أحد النقاد الرمز علي أنه القدرة علي إثارة مشاعرنا ، فيقول : "عندما تحتفظ كلمة ما بقدرتها علي إثارتنا فهي لا تزال رمزا ، أما إذا فقدت هذه القدرة ، فإنها تتدهور وتصبح مجرد إشارة."(65)

وعن أهمية الرمز في التعبير الواقعي يقول أحد النقاد : " القصة الجميلة يجب أن تبدو واقعا ، حياة حقيقية تتحرك حولنا ... وأن تكون إلي جانب ذلك موحية ، تجعلنا نفكر ، مهما كانت واقعية وموجزة وأن تبقى في مجال الخيال ، متلألئة ، تفتح الباب واسعا وعريضا أمام ذكاء القارئ ... ومع الخيال العالي والراقي تبلغ القصة مرتبة الرمز ، وترتدي ما هو رمزي ، والرمز يتطلب مشاعر مكثفة ، وبناء راقيا للتجارب الإنسانية ، وتخطيطا تتجدد معه التجربة بكل عمقها ، وبأوسع مداها ، في كل مرة يعرض فيها الرمز ،وعندما تصبح القصة رمزية في وضوح ، تتجاوز أن تكون مجرد متعة أو تسلية أو غطاء للواقع ، إنما تصبح في هذه الحالة تجسيما للواقع نفسه . "(66)

يرسم لنا الكاتب من خلال قصته لوحة رمزية ثلاثية الأبعاد:

البعد الأول:

هو الشخصية التي يرمز بها الكاتب إلى الشريعة اليهودية الهاجرة والمهجورة، التي كانت عاراً على أصحابها فغضبوا عليها وأبعدوها وابتعدوا عنها دون أدنى محاولة للاقتراب منها، وهي تبتعد حتى إن سولت لهم أنفسهم من حين إلى حين الدنو منها، وهذه الشخصية هي شخصية الابن الذي غضب عليه والده قبل موته، فرحل عن البيت دون رجعة، هذا الابن الذي لم يتحمل نفور أبيه منه وهجر البيت تاركاً وراءه أباه المريض وأمه وأخته، ففي إحدى الفقرات يتجلى غضب الأب على ابنه:

"ברגע זעמו פרץ חוק וירם ידו בבנו ואחי לא יכול לשאת את החרפה הזאת ... ויעזוב את ביתו ואת מולדתו וילך לו אל ארץ אחרת." (67)

" في لحظة تخطى غضبه الحدود ورفع يده على ابنه، ولم يستطع أخي أن يتحمل هذه الإهانة ... فهجر بيته ووطنه وذهب إلى أرض أخرى."

وباءت محاولات البحث عنه من قبل الأب بالفشل:

" שלוש שנים עדר אבי האומלל בכל כוחו למצוא בנו האבוד ולהשיב את נדחו ולא עלתה בידו." (68)

" طوال ثلاث سنوات حاول أبي البائس بكل قوته أن يجد ابنه المفقود، وأن يعيد من نبذه، ولكنه لم يفلح."

البعد الثاني:

يتمثل في شخصية الابنة المرتدة عن اليهودية، هذه المرأة التي غيرت دينها إلى المسيحية، عن اعتقاد راسخ منها أنه عار عليها وعلى أولادها أن يكونوا يهوداً، وهو الرمز الذي يُبرز مدى جناية الشريعة على اليهود، فهي تورثهم الشقاء والإحساس بالدونية، وعندما عرفت الابنة أن تنفيذها لوصية أمها بأن تدفن في مقابر اليهود سوف يجر عليها مشكلات جمة منها أن ينفضح سرها ويعرف الجميع أنها من أصل يهودي أصابها الهلع، وها هي تقول:

" מי ימוד את שבר ביתי ואסון ילדי לו נודעו כי מזרע היהודים המה ! ועל כן כל ימינו

היינו עמלים להסתיר הדבר וביחס האל נשאר הדבר כמוס וחתום ולא נודע לאיש." [69]

" من يُصلح الكسر في بيتي ويمحو المصيبة لدى أولادي لو علموا أنهم من نسل اليهود! ولذلك كنا نجتهد طوال الوقت لإخفاء الأمر وبفضل من الله ظل الأمر خافياً ومستوراً ولا يعرفه أحد."

ورغم أن البطلة لم تدفن أمها في مقابر اليهود، إلا أنها لم تدخر جهداً في تنفيذ وصيتها، وتجعل أحد "حزاني" المعبد يتلون عليها صلاة القاديش (الصلاة على أرواح الموتى)، وهذا الإصرار والجهد المبذول يشوبه القلق من الفضيحة التي وصفتها في الفقرة السابقة بالمصيبة، وهذه المصيبة هي الانتماء إلى اليهودية، ونجدها تقرر تنفيذ هذه الوصية رغم ما يواجهها من صعاب:

" נשבעתי לאמי ואקימה לשמור פקודתה האחרונה . ימים אחדים אחרי הקברה נתתי את לבי לחפש ולתור אחרי היהודים בעיר הזאת . קשה עלי הדבר כקריעת ים-סוף ואפחד תמיד כל היום פן יגלה על ידי זה סודי." [70]

" أقسمت لأمي وسأعمد لتنفيذ وصيتها الأخيرة، بعد عدة أيام من دفنها عقدت العزم على البحث والتجوال وراء اليهود في هذه المدينة، كان الأمر صعباً عليَّ كمعجزة شق البحر، وكنت أخشى دائماً أن ينكشف عن طريق ذلك سري."

ونجدها تخالف وصية أمها التي أمرتها ألا تتصل بأخيها كي لا ينفضح أمرها:

" אני אבקש לי תחבולה להודע לאחי כי הלא עצמי ובשרי הוא ואין לי זולתו."[71]

" سوف أجد لي طريقة كي أخبر أخي، أليس هو من لحمي ودمي وليس لي غيره."

وهذه العبارة بها دلالة على تعلقها بأخيها الذي يرمز إلى الشريعة، وكأن هذا الارتداد عن الشريعة اليهودية إلى المسيحية نابع من الشريعة اليهودية نفسها التي هجرت أصحابها قبل أن يهجروها ولم تعد بالفائدة عليهم، فالكاتب لا يلومها ولا يعتبر ما فعلته من باب الردة أو ضعف الإيمان، فها هي تصف هذا الأخ الممثل الرمزي للشريعة بأنه لحمها ودمها الذي ليس لها غيره على وجه الأرض.

البعد الثالث:

يتمثل في شخصية الأم التي ترمز إلى هؤلاء الذين يدركون مدى الخلل والقصور والهوان في جسد الشريعة اليهودية، وينادون بالإصلاح القائم على أساس إرساء دعائم المودة والرحمة، فهي لم تلم ابنتها على تغيير دينها علانية، لكنها دعتها إلى الاستمساك بهذا الدين في داخل قلبها أملاً منها في التغيير والإصلاح، بل وحملت هي اليهودية في قلبها دون أن تذيع هذا السر أو تجرأ على البوح به خوفاً منها على سمعة ابنتها، ولذلك يصفها الكاتب وكأنها الجندي الشجاع الذي يموت في المعركة، وهو يحمل علم بلاده في يده، ويغطي به وجهه:

" עד נשימתה האחרונה לא שכחה מרחם בת-בטנה . לא נטשה מידה את דגלה עליה אהבה . ככה יגלום פניו בדגלו וימות הגבור במלחמה." [72]

" حتى لفظت أنفاسها الأخيرة لم تنس رحمتها بابنتها، ولم تلق من يدها

علمها رحمها الله . هكذا يموت البطل في المعركة وعلمه يغطي وجهه."

إن هذا العلم كما اعتقد هو هذا الشعار الإصلاحي الذي تمثله هذه المرأة الشفوق التي أرادت الخير بابنتها، ولم تستمسك بنمطية الشريعة وجمودها، ولكنها في الوقت نفسه لم تنس دينها وشريعتها وحملت في قلبها الأمل في التغيير.

نجد في النهاية ربطاً متعمداً من الكاتب بين الشريعة في صورة الابن والاصلاحيين في صورة الأم، حيث يقرأ الابن على أمه في المعبد قداس اليتيم، ويبكيها بكاء مراً على قبرها، والكاتب يصفه لحظة قراءة الحزان للقداس بقوله:

" בהעלות החזן ומשורריו את זכרון האשה ... הרכין ראשו וזלגו עיניו דמעות ... אחר התפלה עמד על פני הבימה ויקרא קדיש יתום בלחש." (73)

" لحظة إعلاء الحزان ومساعدوه لذكرى المرأة ... خفض رأسه واغرورقت عيناه بالدموع ... وبعد الصلاة وقف أمام المنبر، وقرأ قداس اليتيم بصوت خفيض."

هذا الربط بين الشريعة والرغبة في الإصلاح ربطاً رمزياً قُصد به التنبيه على حاجة هذه الشريعة إلى إجراء الإصلاحات التي تصحح مسارها، هذه الاصلاحات التي انهال عليها التراب، ووقفت الشريعة تبكيها كالميت العزيز، وتأسى عليها كما يأسى الإنسان على أمل بعيد المنال صعب التحقيق.

5- المكان والزمان ودلالتهما:

يرتبط عنصر الزمان بعنصر المكان، فتواجد الإنسان في مكان بعينه، يرتبط بالضرورة بزمان بعينه، ولكن المكان هو عنصر مدرك بالعقل والحواس، بينما الزمان عنصر لاتدركه حواسنا، بينما يدركه عقلنا، ونحتفظ به داخل وعينا، فتسجل العقول تواريخ وسنوات، ارتبطت بأحداث وأماكن، ورمزت إلى حوادث ذات دلالات(74).

والمكان الذي سُردت فيه أحداث القصة مكان ثابت، هو منزل الأديب، ولعل هذا المكان الثابت يحمل لنا دلالة قوية على مدى سرية الحكاية المروية، ومدى خطورة الموقف الذي يتكشف بين أربعة جدران لغرفة المنزل الذي تحكي فيه البطلة قصتها، وبين جدران هذا المنزل تُروى الحكاية التي تدور أحداثها في أكثر من مكان في بولندا وفرنسا، وبالتالي تتعدد الأزمنة، والراوية تذكر خلال أحداث روايتها تاريخ كل حادثة بالسنين، ففي عام 1852م تولى نابليون الحكم في فرنسا وأطاح بقاعدة الحكم ذات الشعبية وعلى رأسهم والدها(75)، وفي شتاء 1853م أوكل والدها لأخيها تولي أمور عمله لمرضه الشديد(76)، وفي عام 1857م طفق الأب يطوف في أرجاء المعمورة يبحث عن ابنه الوحيد الذي هجر بيته. (77)

لعل ذكر البطلة لزمن وقوع بعض الأحداث بتفصيل السنوات يعد دلالة واضحة على قوة تأثير هذه الأحداث فيها، فهي فترات مصيرية في حياتها لا ينمحي ذكرها أبداً، ولا تغادر ذاكرة البطلة، فلا شك أن تنحية أبيها عن عمله، وكذا تدهور

صحته، ومن بعد ذلك رحيل أخيها ورحلة البحث عنه كلها أمور لا يمكن أن تنساها البطلة وهي محفورة بذاكرتها، رمزت إلى رحلتها في الحياة التي أدت بها إلى الارتداد عن يهوديتها[78].

6- توظيف الحبكة والحدث المروي:

هناك علاقة قوية تربط بين الحبكة والحدث، فالحبكة وليدة الحدث، وهي تمثل تمخضاً للحدث حتى قمة التأزم، وهي العقدة كما يطلق عليها البعض نظراً لأنها مشكلة تستعصي على الحل، ولا تجد الشخصية منها فكاكاً، وربما تسير ناحية الحل في نهاية القصة، وتكمن أهميتها فيما تحدثه من تشويق لدى القارئ، حيث يصل القارئ إلى التوق النشوان للمتابعة، والرغبة في الوصول إلى نتيجة، وكلما زادت حدة التشويق كلما زادت أهمية الحبكة وتأثيرها.

لا شك أن هذه القصة القصيرة التي كتبها جوردون لا ينبغي أن تعامل تقنياً وفنياً بمعايير القصة القصيرة في العصر الذي كتبت فيه[79]، وذلك لسببين أساسيين:

الأول:

أن هذه هي إحدى التجارب الأولى لكتابة القصة القصيرة في الأدب العبري الحديث في تاريخ سابق على إحياء اللغة العبرية، فكان من الطبيعي ألا تكون على المستوى نفسه من التطور ومواكبة العصر إذا ما قورنت بغيرها من القصص القصيرة في العصر الحديث، بل إذا ما قورنت أيضاً بمثيلاتها من القصص العبرية القصيرة التي كتبت في المرحلة المعاصرة من الأدب العبري، وبعد أن تمرس الأدباء على النطق بالعبرية والكتابة بها، ولعل هذا ما يبرر الكثير من الأخطاء اللغوية لديه.

الثاني:

إن يهودا ليف جوردون هو شاعر في الأساس، وقد نمت موهبته وتأكدت كناظم للشعر، وتجاربه في كتابة القصة القصيرة تجارب محدودة للغاية، ربما حاول من خلالها أن يطرق كل مجالات الأدب ليعبر عن فكره الذي يحاول أن يروج له.

لذا نجد حبكة القصة حبكة ضعيفة تتمثل في انكشاف سر الحكاية المروية على لسان بطلتها التي هي بطلة القصة، هذا السر المتمثل في تغيير كل من الأم والابنة لدينهما ظاهرياً وإن كانتا تبقيان عليه في داخلهما طي الكتمان، الأمر الذي اضطر الابنة إلى دفن أمها في مدافن المسيحيين حتى لا ينكشف الأمر بعد موتها، وتتجلى المشكلة الرئيسة في ضرورة تنفيذ الابنة لوصية أمها بالصلاة عليها في المعبد اليهودي، والابنة تخشى أن ينكشف أمرها إذا نفذت هذه الوصية، ولكنها مجبرة على التنفيذ، ويتضح ذلك من خلال هذه الفقرة:

" נשבעתי לאמי ואקימה לשמור פקודתה האחרונה ... קשה עלי הדבר כקריעת ים-סוף ואפחד תמיד כל היום פן יגלה על ידי זה סודי." [80]

" أقسمت لأمي وسأعمد لتنفيذ وصيتها الأخيرة، كان الأمر صعباً عليَّ كمعجزة شق البحر، وكنت أخشى دائماً أن ينكشف من وراء ذلك سري."

وإذا كانت الحبكة هي عظام القصة كما يطلق عليها بعض النقاد، إلا أنه باعترافهم كذلك لا تكفي العظام وحدها لتنتج لنا هيكلاً متكاملاً نابضاً بالحياة، فالعظام ينبغي أن يكون لها عضلات ودم وطاقة للحركة، تتمثل في صراع مستعر أو توتر أو خلاف [81] ، وهنا تكمن نقاط الضعف في حبكة جوردون القصصية، فلا تتولد حبكته من صراع، بل هي مجرد قلق مبالغ فيه من قبل البطلة، سرعان ما يتحول إلى راحة واطمئنان، إذ تُحل الحبكة وتتسارع نهاية القصة، فالمسألة لم تكن بالصعوبة التي تخيلتها البطلة، حيث يحفظ القائم على أمور الجالية اليهودية سرها، ويلطف بحالها، ويخبرها بتكلفة قراءة القاديش على أرواح الموتى، كما يتكفل هو بهذا الأمر، وها هو يطمئنها بقوله:

" הרגעי והשקיטי גברתי - אמרתי בהחזיקי ידי בה. לכי לשלום ! אלהים עד בנינו."[82]

" وقلت لها وأنا أمسك بها: اطمئني وتماسكي يا سيدتي، إذهبي في سلام، والله شاهد علينا."

ثم تأتي هذه الفقرة لتؤكد على تحقق وصية الأم:

" כמחרת היום ההוא החלו להתפלל בבית-הכנסת קדיש יתום. ונרשם בספר הזכרונות שם האשה ... ואיש לא ידע מי היא ואיזה היא עד היום ." [83]

" وفي غد ذلك اليوم بدأوا يتلون في المعبد صلاة القاديش، وسجل اسم السيدة في كتاب الذكريات ... ولم يعلم أحد من هي وأي امرأة تكون حتى هذا اليوم."

أما عن الأحداث فهي أحداث رتيبة تنسجها حكاية واحدة تُروى على لسان البطلة لبطل القصة، ثم يرويها الكاتب للقراء على لسان البطل الذي استمع إليها من البطلة وكله آذان صاغية، فهي ليست قصة قصيرة بالمعنى المفهوم _ كما ذكرنا آنفاً_ بل هي حكاية مروية على لسان الأبطال.

والراوي الأساسي للأحداث هو الكاتب نفسه الذي يطلق عليه الراوي العليم[84] ، فهو الذي يروي لنا الأحداث منذ البداية فنقرأ:

" על ידי אחד הרצים המוליכים אגרות בקרב העיר קבלתי מכתב קטן כתוב בלשון צרפת." [85]

" عن طريق أحد المتجولين الذين يسلمون رسائل في وسط المدينة استلمت خطاب صغير مكتوب باللغة الفرنسية."

هذا الراوي لأحداث القصة هو راوي ثقة، وعن ذلك يقول أحد النقاد: "إن الراوي الثقة كثير جداً في القصص والروايات، وهو أقدم بكثير من الراوي غير الثقة، والقصاص يستخدم وسائل كثيرة لتخييل الثقة في هذا الراوي." [86]

ومن وسائل تخييل الثقة في راوي القصة التي بين أيدينا، أولاً أنه الرجل الذي يحمل على عاتقة مسئولية الجالية اليهودية، ويحل مشكلاتها، وينظر في أمورها، وهذا هو الذي جعل البطلة تعرفه وتلجأ إليه:

" הנה הגידו לי - פתחה את פיה- כי אתה הוא האיש המוציא והמביא את עסקי קהלת היהודים אשר בזה וא. "[87]

" فتحت فاها وقالت: لقد اخبروني أنك المدبر لأمور الجالية اليهودية هنا"

ثانياً: أن كلمته مسموعة في المعبد اليهودي، فالبطلة تسأله:

" - גם בית - הכנסת תחת ידך ? הוסיפה לשאול.
גם שמה דברי נשמעים." [88]

" - استطردت تسأل: هل المعبد اليهودي أيضاً تحت تصرفك ؟
- كلماتي مسموعة هناك أيضاً."

ثالثا: النتائج:

حقق البحث _كما أظن_ الهدف المرجو منه، من خلال التأكيد على عدد من الأمور:

1- أن القصة العبرية القصيرة بمضامينها ذات الأهمية كانت لها بداياتها وارهاصاتها منذ عصر الهسكالا، وظهر هذا بجلاء من خلال عرض لقائمة النتاج الأدبي لجوردون، الذي خاض غمار كتابة القصة رغم كونه شاعراً متميزاً، فقد رأى عدد من الباحثين أن القصة لم تظهر إلا مع إطلالة عصر الإحياء الصهيوني، إلا أنها قد بدأت بالفعل في مرحلة سابقة على الإحياء الصهيوني، بيد أن هذه القصة المبكرة لم تصل إلى درجة معينة من النضج الفني الذي نجده في غيرها من القصص المتأخرة.

2- أن الارتداد عن اليهودية قد تم التعبير عنه بالفعل منذ البدايات الأولى للأدب العبري الحديث، الأمر الذي يمثل تأصيلاً لهذه القضية، كما يلقي الضوء على كون الارتداد عن اليهودية موضوعاً له وجوده وتأثيره على أرض الواقع.

3- التناول الأدبي المعاصر لقضية الارتداد عن اليهودية من خلال عرض لأحد النماذج النثرية التي كتبها بلاص، وكذا تناول هذه القضية في أعمال عجنون يؤكدان على أن هذه القضية قد تم التعبير عنها بقوة في القص العبري الحديث من رواية وقصة، كما تؤكد على استمرارية هذا التناول عبر مراحل الأدب العبري الحديث.

4- تعبير جوردون الواقعي عن قصور الشريعة وحاجتها إلى الإصلاح، هو تعبير المحرض أكثر منه تعبير المصلح، وفي هذا ربط واضح بين أسلوبه النثري وشاعريته، إذ تقول إحدى الباحثات رابطة بين كتابة القصة ونظم الشعر: "إن أنا القاص تقترب من أنا الشاعر، فكلاهما لا يطرح حلاً للمشكلة، بل يكفيه تسجيل العلاقة بين الذات والموضوع." (89) وقد سجل جوردون بالفعل العلاقة الوثيقة بين ذاته تلك الرافضة للجمود الديني والداعية للإصلاح، وبين واقع يراه مؤلماً وفي حاجة إلى التغيير.

5- الصورة الرمزية لشخوص القصة الذين استعملهم الكاتب كإشارات تخط لوحة رمزية متعددة الأبعاد، وتعكس ألوانها على اختلافها ما أراد الكاتب التعبير عنه وما قصده من وراء صياغته القصصية.

6- انتقاد يهودا ليف جوردون للشريعة اليهودية إلى الدرجة التي لا يلوم فيها من يرتد عن عقيدته الدينية من أبطال قصصه من اليهود، وهذا يجعله أكثر استيعاباً لما في العقيدة اليهودية البعيدة عن صحيح العقيدة من خلل، وكذا أكثر إنصافاً من غيره من الأدباء الغارقين في أوهام الدين ومعتقداته، وأوهام الارتباط بمبادئ اليهودية وأفكارها في العهد القديم، التي هي جذور الصهيونية وغذائها الروحي، وهي الذريعة التي يتخذها الصهاينة ريشة يعزفون بها على أوتار القلوب ليحققوا أملهم في إقامة إسرائيل.

الهوامش:

(1) (يهودا ليف جوردون יהודה לב גורדון) (1831 : 1892م): يعد يهودا ليف جوردون أحد أبرز شعراء العبرية في عصر الهسكالا الملقب بشاعر الهسكالا الأعظم، وصاحب المقولة الشهيرة في إحدى قصائده التي اتخذت بعد ذلك شعاراً لحركة الهسكالا (كن يهوديا في بيتك وإنسانا خارجه)، كان مولده في فيلنا ابناً بكراً لوالديه ، وتلقى تعليماً دينياً تقليدياً في الحيدر والمدراش، كما تعلم الروسية في سن الرابعة عشر عاماً، واتقن في سن متأخرة الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية إلى جانب الروسية، عمل في التدريس منذ عام 1852 م ، وقد أتاح له عمله في التدريس التنقل بين العديد من المدن، أكثر من قراءة كتب الشعر ونظمه، وعُني جوردون في قصائده بداية بالنقد الاجتماعي السياسي، ونشر بواكير نتاجه الأدبي في مجلة (המגיד همجيد) التي اشترك في تحريرها بإمضاء دان جبرائيل، كما ترجم أشعاراً عن لغات عديدة. للمزيد حول يهودا ليف جوردون: أحمد عبد اللطيف حماد : يهودا ليف جوردون حياته. عصره. شعره، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، وحول الهسكالا وعلاقتها بتطور نظم التعليم عند اليهود راجع:

- Schoenberg, Shira: The Haskalah, jews virtual library, 2012 .
- Seltzer, Robert. Jewish People, Jewish Thought. New York: Macmillan Publishing Co., 1980 .

(2) The World Book Encyclopedia. "Haskalah". Vol9 , 1988 Edition.

(3) تشتمل قائمة النتاج القصصي لجوردون على 14 قصة عناوينها كالتالي: שני ימים ולילה אחד בבית מלון אורחים يومان وليلة واحدة في دار الضيافة – העצמות היבשות العظام النخرة – אחרית שמחה תוגה سعادة يتبعها أسى– המעורב בדעת المجنون– קפיצת הדרך الانطلاقة– ולא ביד חזקה بلا ترهيب– כף רגל עגל قدم عجل– שניהם כאחד טובים كلاهما صالح– מלך טפש ميلخ الأخرق– רבלה מוכרת החמאה ريفلي بائعة الزبد– בעבור נעלים من أجل زوج نعال– תודה הבאה لأحر زمن الشكر بعد الأوان– מעלות ומורדות مرتفعات ومنخفضات– רחמת אם شفقة أم (القصة موضوع البحث).

(4) רבינוביץ ، ישעיה: הסיפורת העברית מחפשת גיבור، כיוונים בהתפתחותה האמנותית של הסיפורת העברית המודרנית، הוצאת אגודת הסופרים בישראל، רמת-גן ، 1967... עמ' 10.

(5) بعد أن صنع بنو إسرائيل عجلاً من ذهب يعبدونه من دون الله، وذلك بعد أن آمنوا بموسى، وخرجوا معه من أرض مصر نقرأ في سفر الخروج: "موسى قال للشعب قد أخطأتم خطية عظيمة، فأصعد الآن إلى الرب لعلي أكفر خطيتكم."(الخروج 32– 20) ونجد في السفر نفسه تأكيداً على عقوبة القتل للمرتد: "اقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه، ففعل بنو لاوي حسب قول موسى." (الخروج32– 28).

وفي سفر التثنية ترد كذلك إشارات إلى عقوبة القتل والحرق للمرتد: "إذا أغراك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها، فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره، بل قتلاً تقتله." (التثنية 13– 6:8) ، وفي السفر نفسه نجد عقوبة القتل والحرق لمدينة كاملة كفرت بالله بعد إيمانها: "فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، وتجمع

كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب." (التثنية 13– 15: 17).

(6) للمزيد حول هذا الموضوع راجع: المسيري ، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، الارتداد (خاصة التنصر)، المجلد الخامس، الجزء الثالث، الباب الثالث، دار الشروق القاهرة، 1999.

(7) شموئيل يوسف عجنون ש. י עגנון (1888: 1970): كاتب يهودي ولد في جاليسيا الشرقية، كان أبوه حاخاماً يعمل بالتجارة، وتلقى عجنون تعليماً دينياً تقليدياً، وكان كثير الإطلاع، وقد ذاعت شهرته بعد حصوله على جائزة نوبل في الأدب في عام 1966، ويتميز أسلوبه بالرمزية الشديدة ... للمزيد حول عجنون والاتجاهات الأدبية لنقد أعماله: البحراوي، إبراهيم: الثنائية الدينية فى أدب عجنون، دراسة نقدية تطبيقية، جامعة عين شمس، القاهرة، 1995.

* البحراوي، إبراهيم: الاتجاهات التفسيرية لأدب عجنون، دراسة نقدية فى مناهج التفسير، مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، القاهرة، 1998.

(8) אלפר ،מתוקה: יסודות עגנוניים ביצירה המוקדמת (בדמי ימיה) מעמקים ،כתב-עת לספרות، גיליון מס' 30، 10 - 2 - 2010 ... עמ' 1 : 13 .

(9) עגנון، ש"י: "בדמי ימיה" בתוך: על כפות המנעול، הוצאת שוקן ،תל-אביב וירושלים، 1962... עמ' 5.

(10) شمعون بلاص שמעון בלס (1930 : ...): هو أديب يهودي إسرائيلي معاصر، ولكن مولده كان في مدينة بغداد في عام 1930 ، شارك هناك في الأنشطة الأدبية بوصفه أديباً، كما درس الصحافة ومكنته دراسته الصحفية مع توافر الصحف من نشر بواكير إنتاجه الأدبي، كما نشر العديد من المقالات في الصحف العراقية باللغة العربية بطبيعة الحال، وتعلم في مدارس الاليانس التي درس بها أغلب أبناء الطائفة اليهودية في العراق، هاجر إلى فلسطين في عام 1951 مع موجة الهجرة الجماعية ليهود العراق، حيث صدق البرلمان العراقي في عام 1950 على قانون يقضي بالسماح لكل يهود العراق بالهجرة – إن أرادوا– بشرط التنازل عن الجنسية العراقية وعن ممتلكاتهم كافة .

(11) בלס ، שמעון : והוא אחר ،הוצאת זמורה ביתן ،ירושלים ،1991 ... עמ" 67 .

(12) שירן ، ויקי : והוא אחר ، עיתון 77 ג'ל 23- 24 ، 1992 ... עמ" 1.

(13) راوي ، أحمد كامل: توظيف الأدب العبري لقضية اعتناق اليهودي الإسلام من خلال رواية (והוא אחר وصار شخصاً آخر) للأديب شمعون بلاس ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد 39 ، 2007 ... ص 327 .

(14) المرجع السابق ... ص 327 .

(15) المرجع السابق ... ص 327 .

(16)עחמיה ، לב ציון : המרות דת והתאסלמות בימי הביניים . מה בין יהודים לנוצרים، פעמים גל' 42 ، חורף 1990 ... עמ" 8 .

(17) للمزيد حول هذا الموضوع: راوي، أحمد كامل: توظيف الأدب العبري لقضية اعتناق اليهودي الإسلام ... ص 328 : 331 .

(18) ראה : עלון ، קציעה : מתברר שיכולנו לבחור גם אחרת אילו רצינו . הארץ ، 31 – 8 –

2005 ... עם" 3.
זך ، נתן : לבנות את גן עדן על האדמה ، הארץ ، 17 – 5 – 1991 ... עם" 8 .
יחיל וקס ، מרים : עיראק אינה מחזירה אהבה ، ידיעות אחרונות ، 3- 5 – 1991 ... עם" 25 .
(19) בלס ، שמעון : והוא אחר ... עם" 56، 57 .
(20) שם ... עם" 75 .
(21) راجع: عطية، رهام سيد: الاغتراب والتجوال في الرواية عند شمعون بلاص. دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2008 ... ص 259،260 .
(22) للمزيد حول هذا الموضوع : אקדמות י"ב : "יחסה של ספרות ההשכלה העברית ליהדות" יוני 2002 עמ' 111–123.
קורצווייל ،ברוך:ספרותנו החדשה – המשך או מהפכה?שוקן: ירושלים ותל- אביב، תשכ"ה، עמ' -13، 28 .
(23) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה - הוצאת דביר - תל אביב 1873 ... עם' 99.
(24) שם ... עם' 99.
(25) שם ... עם' 99.
(26) שם ... עם' 99.
(27) שם ... עם' 99.
(28) بو طيب، عبد العاطي: العتبات النقدية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية، جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي)، السبت 28 إبريل2001 ... ص 6.
Bernad, Valette: Esthetique Du Roman Moderne, Ed Nothan, Ed* .Paris, 1993, P. 147
(29) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 101.
(30) שם ... עם' 101.
(31) שם... עם' 102.
(32) שם ... עם' 102.
(33) للمزيد حول هذا الموضوع حنفي، حسن: الاغتراب الديني عند فيورباخ، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، الكويت، إبريل. مايو . يونية 1979 ... ص 41 : 67 .
(34) النعيمي ، أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1998 ... ص 17 ، 18 .
للمزيد حول هذا الموضوع راجع : أبو خضرة، زين العابدين محمود: تاريخ الأدب العبري الحديث، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2000 ... ص 85 : 87.
(35) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 100.
(36) כץ ،יעקב :מסורת ומשבר. החברה היהודית במוצאי ימי הביניים، מוסד ביאליק: ירושלים، 1948، עמ' 300-285 .
מנדלסון ،משה: כתבים קטנים בענייני יהודים ויהדות، בתרגום ש'הרברג، מסדה: רמת גן 1947، עמ' 228.

Moses Mendelssohn, Briefwechsel 1761-1785, Gesamelte Schreiften, Band 20,2, Friedrich Frommann, Günther Holzberg: Stuttgart-Cannstatt 1994, s. 423.

(37) שוחט،עזריאל: עם חילופי תקופות:ראשית ההשכלה ביהדות גרמניה، מוסד ביאליק: ירושלים، 1960، עמ' 113.

(38) אקדמות י"ב : "יחסה של ספרות ההשכלה העברית ליהדות" יוני 2002 עמ' 111.

(39) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 100.

(40) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון ... עם' 100.

(41) שקד، גרשון: הסיפורת העברית 1880 : 1980، א . הגולה ، הוצאת הקיבוץ המאוחד ، כתר، ירושלים 1977 ... עם' 1: 5

(42) فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، 1998 ... ص 294.

(43) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 99.

(44) שם ... עם' 99.

(45) مكي، الطاهر أحمد: القصة القصيرة ... دراسة ومختارات ، دار المعارف ، الطبعة السادسة، القاهرة، 1992 ... ص93 .

(46) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 99. 100.

(47) صلاة القاديش: الصلاة على أرواح الموتى.

(48) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 100.

(49) שם ... עם' 100.

(50) שם ... עם' 100.

(51) שם ... עם' 100.

(52) للمزيد حول العلاقة بين الشخصية والحدث: محمود حسن، زين العابدين: قضايا المجتمع الإسرائيلي في القصة العبرية، القاهرة، د.ت ... ص 232.

אבן ،יוסף: מלון מונחי הסיפורת ،ירושלים ... עם' 61.

(53) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 99.

(54) שם ... עם' 99 .

(55) שם ... עם' 100.

(56) שם ... עם' 100.

(57) שם ... עם' 100.

(58) שם ... עם' 100.

(59) محمود حسن، زين العابدين: قضايا المجتمع الإسرائيلي في القصة العبرية ... ص 239.

(60) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עם' 99.

(61) שם ... עם' 99 .

(62) שם ... עם' 100.

(63) שם ... עם' 102.

(64) שם ... עמ' 102.
(65) صلاح فضل . دكتور : نظرية البنائية في النقد الأدبي ... ص 306 .
(66) الطاهر أحمد مكي .دكتور : القصة القصيرة (دراسة ومختارات) ... ص 97 ، 98 .
(67) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עמ' 102.
(68) שם ... עמ' 102.
(69) שם ... עמ' 102.
(70) שם ... עמ' 102.
(71) שם ... עמ' 102.
(72) שם ... עמ' 102.
(73) שם ... עמ' 100.
(74) للمزيد عن ارتباط الزمان بالمكان: أيوب، محمد: الزمان والمكان في القصة القصيرة،الحوار المتمدن، العدد 1073، 9/ 1/ 2005، الضبع، مصطفى: استراتيجية المكان، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998... ص 59– 60.
(75) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עמ' 100.
(76) שם ... עמ' 100.
(77) שם ... עמ' 100.
(78) للمزيد حول دلالات الزمن: زايد، عبد الصمد: مفهوم الزمن ودلالاته،الدار العربية للكتاب، تونس،1998.
(79) للمزيد حول هذا الموضوع ליב ציטרון ،שמואל: יוצרי הספרות העברית החדשה: תולדותיהם، יצירותיהם، סגנונם، וערך פעול ،י"לג בתור מספר ،הוצאת ש. שרברק וילנה، בלי תאריך .
(80) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עמ' 102.
(81) كونراد، بام: الحبكة عظام القصة،مجلة الكاتب الأمريكية، عدد شهر يناير، 1996، ترجمة: نازك ضمرة.
(82) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עמ' 103.
(83) שם ... עמ' 103 .
(84) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: الكردي، عبد الرحيم: الراوي والنص القصصي ، دار النشر للجامعات، 1996.
(85) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עמ' 99.
(86) الكردي، عبد الرحيم: الراوي والنص القصصي ... ص 94.
(87) גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ... עמ' 99.
(88) שם ... עמ' 99 .
(89) إبراهيم، نبيلة: فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص ... 246. وللمزيد حول العلاقة بين الذات والموضوع: الوائلي، كريم: المواقف النقدية. قراءة في نقد القصة القصيرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

المصادر والمراجع العربية:

أولاً: الكتب:

- إبراهيم، نبيلة: فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت.
- أبو خضرة، زين العابدين محمود: تاريخ الأدب العبري الحديث، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2000.
- البحراوي، إبراهيم: الثنائية الدينية فى أدب عجنون، دراسة نقدية تطبيقية، جامعة عين شمس، القاهرة، 1995.
- ـــــــــــــ: الاتجاهات التفسيرية لأدب عجنون، دراسة نقدية فى مناهج التفسير، مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية ، القاهرة، 1998.
- الضبع، مصطفى: استراتيجية المكان، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998.
- الكردي، عبد الرحيم: الراوي والنص القصصي ، دار النشر للجامعات، 1996.
- المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، الارتداد (خاصة التنصر)، المجلد الخامس، الجزء الثالث، الباب الثالث، دار الشروق القاهرة، 1999.
- الوائلي، كريم: المواقف النقدية. قراءة في نقد القصة القصيرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.
- النعيمي، أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1998 .
- زايد، عبد الصمد: مفهوم الزمن ودلالاته،الدار العربية للكتاب، تونس،1998.
- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، 1998 .
- مكي، الطاهر أحمد: القصة القصيرة ... دراسة ومختارات ، دار المعارف ، الطبعة السادسة، القاهرة، 1992.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

- حماد، أحمد عبد اللطيف: يهودا ليف جوردون حياته. عصره. شعره، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب ، قسم اللغة العبرية وآدابها.
- عطية، رهام سيد: الاغتراب والتجوال في الرواية عند شمعون بلاص. دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2008 ، قسم اللغات الشرقية وآدابها.

ثالثاً: المقالات:

- أيوب، محمد: "الزمان والمكان في القصة القصيرة"،الحوار المتمدن، العدد 1073، 9/ 1/ 2005.
- بو طيب، عبد العاطي: "العتبات النقدية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية"، جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي)، السبت 28 إبريل2001
- حنفي، حسن: "الاغتراب الديني عند فيورباخ"، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، الكويت، إبريل. مايو . يونية 1979 .

- راوي، أحمد كامل: " توظيف الأدب العبري لقضية اعتناق اليهودي الإسلام من خلال رواية (והוא אחר وصار شخصاً آخر) للأديب شمعون بلاص" ، مجلة الدراسات الشرقية، العدد 39 ، 2007.
- كونراد، بام: "الحبكة عظام القصة"،مجلة الكاتب الأمريكية، عدد شهر يناير، 1996، ترجمة: نازك ضمرة.

المصادر والمراجع العبرية:

أولاً: المصادر:

- בלס ، שמעון : והוא אחר ،הוצאת זמורה ביתן ،ירושלים، 1991 .
- גורדון ، יהודה : כל כתבי יהודה לב גורדון . פרוזה ، הוצאת דביר ،תל-אביב 1873.
- עגנון، ש"י:"בדמי ימיה" בתוך: על כפות המנעול، הוצאת שוקן، תל-אביב וירושלים، 1962.

ثانياً: المراجع:

- אקדמות י"ב : "יחסה של ספרות ההשכלה העברית ליהדות" יוני 2002.
- קורצווייל، ברוך: ספרותנו החדשה – המשך או מהפכה?שוקן: ירושלים ותל- אביב، תשכ"ה.
- כץ،יעקב :מסורת ומשבר: החברה היהודית במוצאי ימי הביניים، מוסד ביאליק: ירושלים، 1948.
- ליב ציטרון ،שמואל: יוצרי הספרות העברית החדשה: תולדותיהם، יצירותיהם، סגנונם، וערך פעולתם،י"לג בתור מספר ،הוצאת ש. שרברק וילנה ، בלי תאריך .
- מנדלסון ،משה:כתבים קטנים בענייני יהודים ויהדות، בתרגום ש.הרברג ،מסדה: רמת-גן 1947.
- שוחט، עזריאל، עם חילופי תקופות:ראשית ההשכלה ביהדות גרמניה، מוסד ביאליק: ירושלים، 1960.
- רבינוביץ ، ישעיה: הסיפורת העברית מחפשת גיבור، כיוונים בהתפתחותה האמנותית של הסיפורת העברית המודרנית، הוצאת אגודת הסופרים בישראל، רמת-גן ، 1967.
- שקד، גרשון: הסיפורת העברית 1880 : 1980، א . הגולה ، הוצאת הקיבוץ המאוחד ، כתר ، ירושלים 1977.

ثالثاً: المقالات:

- אלפר ،מתוקה: יסודות עגנוניים ביצירה המוקדמת (בדמי ימיה) מעמקים ،כתב-עת לספרות، גיליון מס' 30، 10 - 2 - 2010 .
- זך ، נתן : לבנות את גן עדן על האדמה ، הארץ ، 17 – 5 – 1991.
- יחיל וקס ، מרים : עיראק אינה מחזירה אהבה ، ידיעות אחרונות ، 3- 5، 1991.
- עחמיה ، לב ציון : המרות דת והתאסלמות בימי הביניים . מה בין יהודים לנוצרים ، פעמים גל' 42 ، חורף1990.
- עלון ، קציעה : מתברר שיכולנו לבחור גם אחרת אילו רצינו . הארץ ، 31 – 8 – 2005

- שירן ، ויקי : והוא אחר ، עיתון 77 ג'ל 23- 24 ، 1992.

المراجع الأجنبية:

- Bernad, Valette: Esthetique Du Roman Moderne, Ed Nothan, Ed
- Paris, 1993, P. 147 .
- Moses Mendelssohn, Briefwechsel 1761-1785, Gesamelte Schreiften, Band 20,2, Friedrich Frommann, Günther Holzberg: Stuttgart-Cannstatt 1994.
- Schoenberg, Shira: The Haskalah, jews virtual library, 2012.
- Seltzer, Robert. Jewish People, Jewish Thought. New York: Macmillan Publishing Co., 1980.
- The World Book Encyclopedia. "Haskalah". Vol9 , 1988 Edition.